

الآليات الإجرائية للتداولية في حقل المقاربة النصية

Pragmatism procedural mechanisms in the field of textual approach

د. ناجي نادية*⁽¹⁾

جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)

Benaboody14@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/25

تاريخ القبول: 2021/06/10

تاريخ الإرسال: 2021/04/13

الملخص:

يتناول هذا البحث أهم مقولات المنهج التداولي والتي من خلالها أسس علماء اللغة الغربيون لهذا المنهج اللساني وقد كان تركيزنا على أفعال الكلام وتصنيفاتها خاصة عند سيرل وكذا أنواعها (مباشرة وغير مباشرة) ومتضمنات القول وظاهرة الافتراض المسبق، ثم عرّجنا على قضية كانت من أهم ما جاءت به التداولية ونقصد الاستلزام الحواري، كما تناولنا ظاهرة الحجاج باعتباره أيضا من مرتكزات المقاربة التداولية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الآليات الإجرائية، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية، الحجاج.

Abstract:

This research deals with the most important sayings of the pragmatic approach through which Western linguists founded this linguistic approach and our focus was on the actions of speech and its classifications especially in Searle as well as its types (directly and indirectly) and the implications of saying and the phenomenon of preconceived assumption, and then we came up with an issue that was one of the most important things that came deliberative and we mean dialogue commitment, as we addressed the phenomenon of pilgrims as also one of the pillars of deliberative approach.

Keywords:

Pragmatism, procedural mechanisms, Dialogue Commitment, verbal acts, pilgrims.

مقدمة:

التداولية كغيرها من المناهج النقدية تهتم بمقاربة النصوص والخطابات على السواء وذلك بغية الكشف عن المعنى والدلالة ومقاصد المتكلمين بالدرجة الأولى، وهي أيضا وكغيرها من المناهج النقدية تعتمد على طائفة من الآليات الإجرائية؛ وغيرها يمكن للباحث في هذا المجال أن يستقرئ النص والخطاب معا لاستكشاف دلالاتهما سواء السطحية أو العميقة. ويمكن للباحث أن يكتشف -وبسهولة- تشابها وتداخلا كبيرين لدى متخصص هذه المعرفة في حصر آلياتها الإجرائية، ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم مقولات المنهج التداولي مازجين بين ما هو تنظيري وما هو تطبيقي.

* المؤلف المرسل

1- أفعال الكلام:

يرى معظم متخصصي هذا المجال المعرفي أن نظرية الأفعال الكلامية (*Théorie des Actes de paroles*) هي أهم ركيزة استندت عليها الدراسات التداولية، وهي من أهم نظرياته، وسنحاول فيما يلي التطرق إلى تحديد مفهوم الفعل الكلامي في المنجز اللساني الغربي. «بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان (ج.ل. أوستين) وتلميذه (ج. سيرل) حول هذا المفهوم اللساني التداولي الجديد، فإنّ الفعل الكلامي يعني التصرف أو (العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثله: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها أفعال كلامية»¹. نستشف من هذا القول أنّ الفعل الكلامي هو إنجاز للكلام من وجهة اجتماعية يتجسد في الواقع عند التلفظ به، وذلك لتحقيق عملية التواصل بغية إيجاد مواقف اجتماعية أو فردية أو مؤسساتية بالألفاظ، وذلك للتأثير في المتلقي لإجباره على القيام بفعل ما أو العدول عنه، أو تأكيد حكم من الأحكام أو تقديم تهنئة أو طرح سؤال عن قضية معينة.

1-1- الأفعال الكلامية من منظور البحث اللغوي الغربي المعاصر:

من المسلم به -في البحث اللغوي الغربي المعاصر- أن نظرية الأفعال الكلامية هي أهم الركائز التي اتكأت عليها اللسانيات التداولية، ولعل سبب ذلك أنها هي المجدد الفعلي للاستعمالات اللغوية أو الأداء الكلامي في الواقع، فهي تجعل اهتمامها منصبا أساسا على ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير في المتلقي، وجميع ذلك غايته إنجاز الفعل التواصلية بين المتخاطبين. يمكننا حصر أهمية التداولية من خلال اعتبارها قد ساهمت بشكل جدي في تغيير تلك النظرة التقليدية في معالجة الظاهرة اللغوية التي كانت تتحاز بشدة للاستعمال المعرفي والوصفي للغة؛ حيث نظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وهي بهذا ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل؛ لذلك يعتبر (باختين) (*Bakhtien*) أن المعلومات المتبادلة بين طرفي الحديث (المتكلم / السامع) تكون ضرورة ماثرة بواسطة شيء ما، وتسعى إلى تحقيق هدف ما. فهي عبارة عن حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الذي يدور في فلك الحياة الاجتماعية الاعتيادية².

هذا المفهوم وسّعه "أوستين" "*Austin*" في المحاضرات التي ألقاها في جامعة (هارفارد) (*Harvard*) سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه (*How to do think with words*)، إذ جاء بأفكار كثيرة فتحت الباب واسعا أمام المفكرين لدراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، واستأنفت بعد ذلك من قبل (سيرل)³، وقد كان أوستن متأثر "بما نبّه إليه (فتجنشتاين) (*Wittgenstein*) من أنّ اللغة قد تستخدم لوصف العالم من حولنا بيد أنّ هناك حشدا من الاستعمالات الأخرى للغة لا توصف وقائع العالم؛ كالأمر، والاستفهام، والشكر، واللعن، والتحية، والدعاء. وقدم ثبنا طويلا بهذه الاستعمالات المختلفة للغة، وأطلق عليها ألعاب اللغة (*Language games*)، وأسمى كل استعمال منها لعبة؛ لأن له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة، ورأى أن كل نوع من ألعاب اللغة محكوم بنوع مخصوص من السياق الاجتماعي ومحدد بأعراف اجتماعية معينة... وأرسى مبدأ مثيرا للجدل عند الفلاسفة: (المعنى هو الاستعمال) (*Meaning is use*)، ومن ثم تصدى أوستن للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية (*Logical*

(*positivism*) اللذين كانوا يرون اللغة أداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، ولا عمل للغة يعتدّ به عندهم إلا وصف هذه الوقائع بعبارة إخبارية، ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارة بالصدق أو الكذب إذا طابقت الواقع أو لم تطابقه. أما العبارات غير الإخبارية فهي عندهم زائفة ولا معنى لها، وهم لا يعتقدون بها؛ لأنهم لا يجدون من وقائع العالم ما تطابقه أو يطابقها⁴.

وتأكيداً لوجهة النظر هاته أنكر (أوستين) أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارة الإخبارية هي (وصف) حال الوقائع وصفاً يكون إما صادقاً أو كاذباً، ووسم ذلك بـ(المغالطة الوصفية)⁵، ومضى يثبت ما ذهب إليه بطائفة من الأمثلة التطبيقية. فيقول إن: "بجانب هذه العبارات الوصفية نوعاً آخر من العبارات قد يتشابه في التركيب مع العبارات الوصفية، لكنه لا يصف شيئاً في الواقع الخارجي، ولا يحتمل الصدق أو الكذب؛ فإذا بشرت بمولود مثلاً وقيل لك سمّه، قلت: أسميه يحيى، وإذا رأيت أن توصي ببعض مالك لجهة من جهات الخير فقلت: أوصي بنصف مالي للجمعيات الخيرية، أو إذا قال لك رجل والشهود حضور: زوجتك ابنتي، فقلت: قبلت، فإن هذه العبارات ونحوها لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي، ولا تحتمل الصدق والكذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تلقي قولاً، بل تتجز فاعلاً، فالقول هنا هو الفعل أو هو جزء منه؛ لأنك تتجز فعل التوصية بقولك (أوصي)، فالقول هنا ليس مجرد كلام، بل هو فعل كلام أو هو فعل كلامي"⁶، ويبدو أن هذا العالم اللغوي حاول التمييز هنا "بين نوعين من الأفعال؛ أفعال إخبارية *Constative* تخبر عن وقائع العالم الخارجي وتكون إما صادقة وإما كاذبة؛ وقد آثر أن يعدل عن تسميتهما أفعالاً وصفية *Descriptive*، لأنه ليس كل ما يقبل الصدق والكذب وصفاً. وأخرى تتجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدي، وقد أطلق عليها مصطلح الأفعال الأدائية⁷ *Performative*.

1-2- تصنيفات الأفعال الكلامية لدى أوستين:

نظراً لتطور الدراسات اللغوية وتطور وتعدد وتنوع المناهج التي اهتمت باللغة والنص الأدبي خاصة في منتصف القرن الماضي حاول "أوستين سنة 1955م أن يضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية والتي حاول أن يجيب من خلالها على إشكال مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع، فكل الجمل (عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية) يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فمثلاً جملة (تكتب أن وجاه كتاب التداولية اليوم) صادقة بما أنه في الوقت الذي نكتب فيه الفقرة، فإننا نكون بصدد تأليف الكتاب المعني الذي سيقراً خلال أشهر، وقد أطلق أوستين على هذه الفرضية المتعلقة بالطابع الوصفي للجمل بسمة موحية هي (الإيهام الوصفي)، منطلقاً من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا نقل شيئاً عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغييرها أو تسعى إلى تغييرها، فقد فكّر أوستين في جمل من قبيل (أمرك بالصمت) أو (أعدك بأن آتي غداً)، ففي هذه الجمل لا نقول شيئاً عن حالة الكون، إنما نسعى إلى تغييره، فقائل (أمرك بالصمت) يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه، يحتمل أن يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه⁸. أو يمكن أن يكون قد أراد استفزازه أو الحط من قيمته أو غير ذلك بحسب نوايا المتكلم.

لكن أوستين وجد إشكالا في تقسيم الأفعال في نظرية أفعال اللغة، رغم أنه يصنفها بدءاً إلى ثلاثة أصناف هي⁹:

- **فعل الكلام:** وهو التلفظ بخطاب ذي مفردات لها مراجع معروفة، وفق تركيب مقبول، أي كما تقتضي الدلالة، وهو بهذا أساس الأصناف الأخرى، فلا يكون هناك إنجاز من دون تلفظ، و(على ذلك فإنجاز كلامي بوجه عام، -إن جاز هذا القول- هو في ذات الأمر أيضا إنجاز قوة فعل الكلام كما اصطلح على ذلك، وهكذا فإن إنجازنا لفعل كلامي، سنكون أيضا منجزين لبعض ما تناوله كلامنا، وما لم يتناوله. ويتمين ذلك من أننا: قد نكون سائلين أو مجيبين عن سؤالنا، قد نتناول في خبرنا أو تحذيرنا أو تطميننا للآخر غير ما طلب منا).

- **فعل قوى الكلام (الإنجازي أو الغرضي):** يعد محور النظرية ومن جهة نظر "أوستن"، وفعل قوى الكلام تنطوي تحته مجموعة من الأصناف بلغت الخمسة، وبها يحقق المرسل هدفه من خلال التلفظ بها، وتمثلت هذه الأصناف في:

1- أفعال القرارات التشريعية (المتعلقة بأحكام)، والهدف منها إصدار الأحكام، مثلما يفعل القاضي في محكمته، أو كما هو الحال بالنسبة لحكم المباراة في الملعب، وهذه الأحكام ليست نهائية؛ لأن الحكم قد يكون تقديريا أو على شكل رأي.

2- أفعال الممارسات التشريعية، والهدف منها إصدار حكم فاصل، أي ممارسة سلطة تشريعية وقانونية، مثل إصدار المذكرات التفسيرية والتعيين، وإعطاء التوجيهات التنفيذية.

3- أفعال الإباحة (الإلزامية): وتهدف إلى تعهد المرسل بإنجاز فعل معين، مثل الوعد والضمان والتأييد والخطبة قبل الزواج.

4- الأفعال السلوكية: وتهدف إلى إبداء سلوك معين، مثل الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم والتحدي.

5- أفعال المعروضات الموصوفة (التفسيرية): والهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير.

ولا يقتصر وجود هدف الخطاب في هذا الصنف من الأفعال اللغوية، بل يكمن في الصنف الثالث أيضا، أي في الأفعال التأثيرية، أو ما يصطلح عليه لدى "أوستن" بـ **فعل الكلام**؛ عندما يتوخى المرسل أن يؤثر بهذه الأفعال في مشاعر المرسل إليه وسلوكه، كإقناعه، أو تشجيعه، أو تهديده، أو تحذيره... إلخ. ولذلك، فالتلازم بين هذه الأصناف، لا يقف عند هذا الحد، (ونقصد أنه لكي ننجز فعل الكلام، وبالتالي قوة فعل الكلام، لابد، أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال. فأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا، أو في العادة، حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته. كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم، وغيره من الأشخاص الآخرين. وقد يقع أن نتعمد إحداث هذه الآثار، والنتائج واللوازم عن قصد ونية أو غرض ما، ومن ثم يجوز أن نتحدث، ونحن نأخذ في اعتبارنا اجتماع كل تلك الأمور، "أن المتكلم قد أنجز شيئا ما، أو فعلا ما (...). وإنجاز فعل من هذا النوع، يمكن أن نسميه بإنجاز ما ترتب عن فعل الكلام وما لزم عنه، وهو بالضبط مصطلحنا (لازم فعل الكلام)

(¹⁰.

ويقترح "أوستن" *Austin* خمسة أقسام للأفعال الكلامية :

- 1-الحكميات *Verdictifs*: وتتمثل في الحكم نحو: التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف، التشخيص، الوصف...
- 2-التنفيذيات *Exercitifs*: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، الاستقالة، التوسل... وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.
- 3-الوعديات *Promissifs*: وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف لأنها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل "الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية..."
- 4-السلوكيات *Comportatifs*: والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر و الاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي.
- 5-العرضيات *Expositifs*: وتسمى كذلك "التفسيريات" الهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح¹¹...
- يبدو تصنيف "أوستين" *Austin* مفتوحا ومرنا، لذلك حاول "سيرل" *Searle* تطوير نظرية أفعال الكلام عند أوستين واقترح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.
- 1-3-نظرية أفعال الكلام عند "سيرل" *Searle*:
تصنيف "سيرل" *Searle* للأفعال الكلامية:

إن اختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل "سيرل" *Searle* يعيد هذا التصنيف، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقاً للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنه جعل المستمع يفعل شيئاً، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئاً وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب" هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك.

وقد ميز "سيرل" *Searle* بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

- 1- "جون" يفرط في التدخين.
- 2- هل يفرط "جون" في التدخين؟
- 3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".
- 4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور: عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلفظ (الصوتي، التركيبي) *acte d'énonciation*، والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في المحتوى القضوي " *acte propositionnel* " (التدخين المفرط ل "جون") لكن لكل عبارة منها فعل إنجازي *acte illocutionnaire* خبار، السؤال، الأمر، التمني (...). وكل عبارة تخلف نتائج معينة (الفعل التأثيري *acte perlocutionnaire*).
كما فرق "سيرل" *Searle* بين "الأفعال الكلامية المباشرة" و"الأفعال الكلامية غير المباشرة"، وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:
- التأكيديات (التقريرات *Assertifs*): هدفها « هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئاً ما هو واقعة حقيقية، وتعهد ذلك بصدق قضية ما»¹². تهدف إلى جعل الكلمات تطابق العالم.

- **التوجيهيات Directifs**: هدفها دفع المرسل إلى فعل شيء ما، و يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء¹³ وتسمى كذلك (الأوامر)، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات.
- **الالتزاميات Commissifs**: هدفها التزام المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل (التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند "أوستين".
- **التعبيريات Expressifs**: والهدف منها هو « التعبير عن حالة سيكولوجية محدّدة »¹⁴ وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النية والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و« بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليمثل الكلمات لتمثيل العالم»¹⁵، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالاً السلوكيات في تصنيف "أوستين" "Austin".
- **التصريحيات Déclarations**: وتسمى كذلك الإدلاءات هدفها جعل العالم يطابق الخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح...

ويمكن تلخيص تصنيف "سيرل Searle" كما يلي: « لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياء، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفع أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد»¹⁶، وإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك. وقد أعاد (سيرل) تصنيف الأفعال اللغوية، لأنه لمس بعض الاضطراب في تصنيف (أوستين)، بل والضعف، ومن سمات هذا الاضطراب أن (أوستين) لم يصنف الأفعال اللغوية حسب أسس منهجية، عدا الأفعال الإلزامية، التي كان تصنيفه إياها باعتبار الغرض الإنجازي قائماً. ومن سمات الاضطراب كذلك أنه يمكن للمرسل أن ينجز القوة الغرضية بأكثر من فعل إنجازي. وقد بدأ (سيرل) واعياً بهذا المشكل، فاقترح في كتابه "المعنى والعبارة"، معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللغوية لوضع تصنيفية مقبولة للأعمال اللغوية¹⁷:

- 1- الغاية من الفعل مثل: "الحصول على قيام (س) بشيء ما".
- 2- اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي: وهو يرى أن بعض الأعمال اللغوية مثل: الإخبار، ينحو نحو جعل القول مطابقاً للكون الخارجي، بينما تنحو بعض الأعمال اللغوية الأخرى مثل الوعد، نحو جعل الكون مطابقاً للقول.
- 3- الحالة النفسية المعبر عنها، مثل: اليقين، الرغبة، والحسرة. ويلج الكاتب على وصف "المعبر عنها" فهذا المعيار يعمل حتى انعدام الصدق.
- 4- كثافة الاستثمار في تقديم اللاقول، ف "أقترح" أقل قوة من "أمر".
- 5- وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية، كما هو الحال بالنسبة إلى منزلتها في التراتبية الاجتماعية، فقد يكون الملفوظ نفسه أمراً إذا كان من الأعلى إلى الأسفل والتماساً إذا كان من الأسفل إلى الأعلى.

- 6- الطريقة التي يرتبط بها القول بالمصالح الشخصية للمتخاطبين مثل التبجح (ويتعلق بالمتكلم) والتعزية (وتتعلق بالمخاطب)، بشكل ظاهر، على كل حال...
- 7- العلاقة ببقية الخطاب، مثل "أرد، أستنتج، أعترض، ومع ذلك، إذن..."
- 8- المحتوى القضوي المحدد بوسم صريح للقوة اللاقولية والاختلاف بين عرض وتوقع يقوم على أساس وسمات تحدد الماضي والمستقبل، على سبيل المثال.
- 9- إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل، بطريقة أخرى سوى اللغة (من ذلك أنه يمكننا أن نرتب بالكلام أو بوضع العناصر في صناديق، ويمكننا أن نحیی بكلمة أو بحركة، ولكن لا يمكننا أن نعدّ دون أن نتكلم).
- 10- الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللغة لإنجاز عمل لغوي (يمكننا أن نعدّ بشيء ما أو نخبر بأن السماء تمطر، دون اشتراط توفر مؤسسة ما، في حين أن التعميد [عند النصارى] أو الحكم بغرامة مالية، لا يمكن أن ينجز إلا عن طريق مؤسسة مخولة [الكنيسة في مثال التعميد والمحكمة في مثال الغرامة]¹⁸).
- 11- وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للفعل اللاقولي (فعل "وعدّ" إنشائي بالضرورة، أما فعل "هدّد" فلا يمكن أن يكون إنشائياً، بما أنني لا أنجز عمل التهديد بقولي "أهدّد").
- 12- "أسلوب" إنجاز العمل اللغوي (إذ "أذاع" و"باح" لا يختلفان لا في الهدف ولا في المحتوى، بل في إنجاز العمل). وهذا المعيار الأخير قريب من معيار كثافة القول وقد ذكرناه في العنصر رقم 4)، ويقترّب من هذا أن الأسلوب لا يتعلق بالقوة اللاقولية، بل بالأحرى بنمط بثّ القول.
- وقد أنشأ "سيرل"، انطلاقاً من هذه المعايير الاثني عشر، والتي يعتبر الثلاثة الأولى أهمّها، تصنيفية للأعمال اللاقولية مقسماً إياها إلى خمسة أقسام وهي¹⁹:
- 1- الإخباريات: التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة. ومثال ذلك: "سيأتي غدا".
- 2- الطلبيات أو [الأوامر]: ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات، وحيث تكون الحالة النفسية رغبة/ إرادة، مثل قولك: "أخرج".
- 3- الوعديات: حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل وحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية. وقد أخذ "سورل" هذا القسم عن أوستين والمثال عليه: (سوف آتي).
- 4- الإفصاحات أو [التعبيريات]: حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يُسند المحتوى خاصية إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب. وهذا يوافق إجمالاً "السلوكيات" في تصنيفية "أوستين"، ومثال ذلك قولك: "أعدّني".
- 5- التصريحيات: حيث يكون الهدف إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشر، دون تطابق، مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية ومثال ذلك: "أعلنُ الحرب عليكم".
- و- الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:
- 1- مفهوم الأفعال المباشرة:

الأفعال الإنجازية عند "سيرل" هي "التي تطابق فيها الأفعال الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معا²⁰.

2- مفهوم الأفعال غير المباشرة:

يرى "سيرل" أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة هي التي تخالف فيها الأفعال الإنجازية مراد المتكلم فالفعل الإنجازي يُؤدَّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر؛ فلو أنك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة: "هل تناولني الملح؟" فإن هذا فعل إنجازي غير مباشر؛ إذ معناه الحرفي هو الاستفهام، وهو مصدر بالدليل الإنجازي *illocutionary indicator* وهو "هل"، لكن الاستفهام غير مراد لك، وأنت لا تنتظر أن يجيبك صاحبك بنعم، أو بلا، بل مرادك أن تطلب منه طلبا مهذبا وهو أن يناولك الملح.

ومن الواضح أن هذا الفعل الإنجازي "هل تناولني الملح" مراد به: (طلب مناولتي الملح) فعل إنجازي غير مباشر؛ لأن دلالة الفعل الإنجازي الحرفية (السؤال) تخالف الدلالة الإنجازية غير الحرفية (الطلب المهذب) التي هي مراد المتكلم في هذا المقام²¹.

متضمنات القول *Les implicites*:

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمها:

أ- الافتراض المسبق *Présupposition*:

عند كل عملية من عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة. وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية (التبليغية). وهي محتواة في القول، سواء تلفظ بهذا القول إثباتا أو نفيا. وهكذا لو قمنا باختبار قول ما- ويدعى هذا الاختبار اختبار النفي- فإن الافتراض المسبق يظل صحيحا²²:

- أغلق النافذة

- لا تغلق النافذة

يتمثل الافتراض المسبق هنا في كون النافذة مفتوحة.

مثال آخر: لننصوّر الحالة الثانية: يقول الطرف 1 إلى الطرف 2:

- كيف حال زوجتك؟ وأولادك؟

إن هذا يفترض بأن العلاقات القائمة بين هذين الشخصين تسمح بطرح مثل هذه الأسئلة يردّ الطرف الثاني قائلا:

- هي بخير، شكرا.

- الأطفال في عطلة.

وإذا بدا له رفض الافتراض المسبق وإذا كانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين، فإن الطرف الثاني قد يتجاهل السؤال أو يدلي بالخبر الضروري أو رفض الكل:

- أنا لا أعرفكم (1)

- أنا لست متزوجا (2)

- لقد طلقت زوجتي (3)

وفي الواقع نحن نميز بين نوعين من الافتراضات المسبقة: الافتراضات المسبقة الآلية والمنطقية- حسب المصطلح المعتمد- والافتراضات المسبقة- أولية. وفي المثال الذي صرب سابقا، يعد رد الفعل (1) افتراضا مسبقا أوليا قويا، وكذلك بالنسبة لرد الفعل (3) الذي هو أقل قوة. أما رد الفعل (2) فهو افتراض مسبق منطقي²³.

ويرى التداوليون أنّ "الافتراضات المسبقة" ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليمات "didactique" تم الاعتراف بدور "الافتراضات المسبقة" منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه. أما "مظاهر سوء التفاهم" المنضوية تحت اسم "التواصل السيئ"، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس "الافتراضات المسبقة" الضروري لنجاح كل تواصل كلامي²⁴.

ب / الأقوال المضمرّة: وتعد ثاني متضمنات القول، ويبدو أن لها علاقة بوضعية الكلام والمقام معا، بخلاف الافتراض المسبق والذي يعرف من خلال المعطيات اللغوية فالقول المضمر «هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث²⁵». ومثال ذلك قولنا:

-إن السماء ممطرة. والسامع لهذه الجملة قد يعتقد أن القائل أراد دعوته إلى²⁶:

-المكوث في بيته.

-أو الإسراع في عمله حتى لا يفوته الموعد.

-أو الانتظار والتريث حتى يتوقف هطول المطر.

-أو عدم نسيان مظلمته عند الخروج...

وتبقى التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات ومختلف الطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب. والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي والثاني وليد ملايسات الخطاب²⁷.

2- نظرية الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري من أهم آليات التداولية، ويمكن إحقاقه بالتواصل غير المعلن أو التواصل الضمني، ومن ثمة فإن الكثير من العبارات اللغوية، إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها، لا تتحدد فقط فيما تدل عليه صيغها الصورية لذا يلزم إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معنى صريح إلى معنى مستلزم، فعبارة (هل تستطيع أن تتاولني الكتاب؟) مثلا في سياق معنى يخرج بمعناها من السؤال إلى الالتماس. ولاشك أن هذا التأويل لا يتم بشكل اعتباطي وإنما توطره وتوجهه الظروف المحيطة بالخطاب، من متكلمين وسياق ومقاصد وما إلى ذلك²⁸.

والباحث في مجال التداولية يجد أن ظاهرة الاستلزام الحواري قد ظهرت مع أبحاث الفيلسوف اللغوي بول غرايس من خلال محاضراته التي درسها بجامعة هارفرد سنة 1967 والتي كان عنوانها (المنطق والحوار) والتي أطر من خلالها لظاهرة الاستلزام الحواري. ومن جهة مقابلة فإننا نجد جذورا لهذه الظاهرة في الدرس البلاغي العربي وإن غابت المصطلحات والمسميات.

يعد الاستلزام الحوارى أحد أبرز المفاهيم فى الدرس التداولى الغربى الحديث، والذى تعود أولى بداياته إلى مجهودات "بول غرايس" كما أسلفنا الذكر والذى لاحظ «أن المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل» وفى حالة ما إذا وقع خلل فى تلك القواعد فلا يتم ذلك التواصل²⁹. وإذا ما حصل خلل فى تلك القواعد فإن عملية التواصل تتعدم حتما.

والفكرة التى انطلق منها "غرايس" أن جمل اللغة تدل فى غالب الأحيان على معانى صريحة وأخرى ضمنية تتحدد دلاليا داخل السياق الذى ترد فيه. كما لاحظ الناس فى أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وربما يقصدون عكس ما يقولون، فركز اهتمامه على (ما يُقال) و(ما يقصد)، فما يقال؛ هو ما تحدد العبارات الحرفية المتلفظ بها من معان ثابتة تعارف عليها المتحاورون، وأما ما يُقصد فهو المعانى غير المباشرة التى تتغير فيها المقاصد تبعا لتغير المقام والظروف، ويريد المتكلم أن يبلغها إلى السامع، ولذلك يشدد "غرايس" فى التواصل اللغوى على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا³⁰. وقد لاحظ غرايس وجود نوعين من الاستلزام:

الأول: هو الاستلزام العرفى؛ الذى يقوم على ما تعارف عليه أهل لغة معينة فيما بينهم من وجود بعض الألفاظ تستلزم دوما دلالات معينة وثابتة لا تختلف باختلاف السياقات والتراكيب.

وأما الثانى فهو الاستلزام الحوارى؛ أو التخاطبى وهو متغير دائما بتغير السياقات التى يرد فيها، وله خصائص تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى³¹.

خصائص الاستلزام الحوارى:

للاستلزام الحوارى عند غرايس عدة خصائص تمثلت فى[†]:

1- **الاستلزام يمكن إغاؤه:** ويتم ذلك إذا عمد المتكلم إلى إضافة ما من شأنه أن يسد الطريق أمام المخاطب حين تهيئه للدخول فى عملية التأويل بغية الوقوف على المعنى الضمنية للعبارة، ومثال ذلك أن يقول شخص لكاتب ما : (لم أقرأ كل كتبك) ، فهذا الكلام يستلزم أن هذا الشخص قد قرأ بعض الكتب لهذا الكاتب. لكنه لو قال: (لم أقرأ أى كتاب من كتبك)، فإنه فى هذه الحالة قد ألغى الاستلزام.

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي:

الاستلزام الحوارى مرتبط بالمعنى الدلالي لما يُقال وليس بالصيغة اللغوية التى يقال بها، فهو لا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، ومثال ذلك الحوار الذى دار بين الأختين:

- لا أريدك أن تتسلى إلى غرفتي.

- أنا لا أتسلل ولكنى أمشي على أطراف أصابعي حتى لا أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير الألفاظ والصياغة فى القول الثانى إلا أن ما يستلزمه القول الأول من عدم الرضا من هذا السلوك لا يزال قائما.

3- الاستلزام متغير:

وتغير الاستلزام يعنى أن العبارة الواحدة يمكنها أن تؤدي استلزمات متعددة ومختلفة باختلاف السياقات التى ترد فيها. وذلك مثل أن يسأل شخص ما عن عمره، فإذا وجه السؤال لطفل صغير -مثلا- فقد يكون السؤال لمجرد العلم، أما إذا كان السؤال موجها لشاب فى الخامسة عشر من العمر -مثلا- فقد

- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص. 37-38. [†]

يكون لتأنيبه على تصرف سيئ صدر منه. وإذا ما وجه هذا السؤال لشخص كبير في السن (ناضج)-
مثلا- فقد يكون لحنه على تحمل مسؤوليته بنفسه اتجاه تصرفاته.

4-الاستلزام يمكن تقديره:

وهذا يعني أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة حتى يصل إلى ما يستلزمه الكلام من معاني
ضمنية، ويكون ذلك في مثل العبارات الاستعارية والكنائيات حينما ينطلق المخاطب من الصيغة الحرفية
للعبرة التي سمعها ليصل إلى المعنى الضمني الكامن وراء تلك الصيغة اللفظية . نحو قول المتكلم:
(فلان أسد)، فيفهم السامع أن المتكلم يريد أن يُكسب هذا الرجل بعض صفات الأسد كالقوة والشجاعة،
وهذا ما يستلزمه القول فيتحقق لدى السامع.

3- الحجاج:

يعد الحجاج من أهم المواضيع التي أنتجت الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي،
باعتبار مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي تُوجّه إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه، وعليه
فالحجاج هو: (جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفية هي حمل المتلقي على الاقتناع بما
نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع)³².

تعددت زوايا النظر إلى الحجاج بحسب زاوية نظر الدارسين له؛ فالبلاغة التقليدية نظرت إليه (كمكوّن
من مكونات الخطاب ويتشكل بتشكله وتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيره). كما تتجلى آثاره في
الدراسات التراثية المختلفة وتتعدد بتعدد مجالاتها، غير أنه أصبح في الدراسات الحديثة مجالا خاصا،
تضبطه ماهية ومفاهيم خاصة وآليات وتقنيات متعددة أهّلته إلى بلوغ مرتبة النظرية اللغوية القائمة على
أسس علمية دقيقة³³.

ذهب مجموعة من اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به ومحاولة التنظير له.
متناولين ضمن هذا المسعى الأساليب الإجرائية في لغة الحجاج، وتنوع الخطابات ضمن السياقات
المقامية المختلفة وغاياتها واستراتيجياتها، والتي تعد من صميم البحث في المنهج التداولي اللساني. وقد
أطلقوا على الدراسات الحجاجية الحديثة مصطلح البلاغة الجديدة، ويرجع الفضل في ذلك إلى "بيرلمان
perelman" وزميله "تيتكا *Tyteca*" عند إصدارهما سنة 1958 لمؤلفهما "مصنف في الحجاج-البلاغة
الجديدة *Traite de l'argumentation nouvelle rhétorique*"، الذي يشمل عناوين ("مصنف في
الحجاج" ويحمل إلى عنوانه الكبير المذكور عنوانا فرعيا تفسيريا هو "البلاغة الجديدة"، وكان هذا العنوان
إيدانا بدخول الدراسات البلاغية مرحلة جديدة يعنى فيها بدراسة الحجاج). وقد شكل ظهور هذا الكتاب
(فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة قد مثل نظرة منطقية للحجاج، إذ استأنف "بيرلمان" تحليل
التفاعل بين الباث والمتلقي المتمكن من آليات التفكير، لا رجل بلاغة فحسب). ومن ثم يعد "بيرلمان" من
منظري النظرية الحجاجية³⁴.

فالحجاج آلية تجسد الخطاب الإقناعي، وتكمن أهميته فيما يتأكد من إقناع لدن المتلقي عن طريق
اللغة، مما يؤكد (أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن
الوظيفة الحجاجية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية). وذلك ما يفسر أن مجال الحجاج
هو حقل اللغة.

أ- مفهوم الحجاج لغة:

يُقَال: حاجته أْحَاجُهُ حِجَاجاً وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَّجْتَهُ أَي غلبته بالحجج الَّتِي أدلِّيتُ بِهَا³⁵. وَالْحُجَّةُ: البُرْهَانُ؛ وَقِيلَ: الحُجَّةُ مَا نُوفِعُ بِهِ الحَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: الحُجَّةُ الوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الحُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مُحَجَّاجٌ أَي جَدِلٌ. وَالتَّحَاجُّ: التَّخَاصُّمُ؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وَحَجَّه يَحُجُّهُ حِجَاجاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ. وَفِي الحَدِيثِ: فَحَجَّ أَدَمَ مُوسَى، أَي غَلَبَهُ بِالحُجَّةِ. وَاحْتَجَّ بِالشَّيْءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّةً؛ قَالَ الأَزْهَرِيُّ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تُحَجُّ أَي تَقْتَصِدُ لِأَنَّ القَصْدَ لَهَا وَاليَهَا؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّةُ الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ وَالمَسْلُكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَالِ: إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ أَي مُحَاجُّهُ وَمُغَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ. وَالحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ. يُقَالُ: حَاجَّجْتُهُ فَأَنَا مُحَاجِّجٌ وَحَجِيجٌ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحْجُ حَصْمِي، أَي أَغْلِبُهُ بِالحُجَّةِ. وَحَجَّه يَحُجُّهُ حِجَاجاً، فَهُوَ مَحْجُوجٌ وَحَجِيجٌ³⁶.

ب- الحجاج اصطلاحاً:

شهد منتصف القرن العشرين تحولا وتغيرا واضحين في الدراسات البلاغية لدى الغرب، وكما هو شائع فقد ظهر ما يصطلح عليه بالبلاغة الجديدة، وهي علم كما يبدو حاول أن يعطي بعدا جديدا لدراسة النص الأدبي بكل أجناسه، وقد تعدت ذلك إلى دراسة كل أشكال الخطابات، وحاولت هذه البلاغة بطلتها الجديدة أن توسع مجالات اشتغالها، فتشمل كل ما يخص أو يهم حياة الإنسان الاجتماعية، ويبدو أيضا أن المهتمين بها ركزوا على وصف «الخصائص الإقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة، تنظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها وقد انبثق عن هذا كله البلاغة البرهانية الجديدة. وهدفها هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزز هذا التأييد»³⁷.

تأسست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م مع رجل القانون الشيكوي شايم بيرلمان (*chaim perelman*) واللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (*lucie olbrechts tyteca*)، «الذي عمل على استثمار الموروث البلاغي وجعل البلاغة الجديدة تشق طريقها، وقد حقق كتابه الضخم (الوجيز في الحجاج والبلاغة الجديدة) الذي شاركته في تأليفه أولبريخت تيتيكا منعطفا في حقل البلاغة، لقد قام مشروعه على إعلان القطيعة مع التصور الديكارتى للعقل الاستدلالي»³⁸. وقد وجدنا أن هناك أعلام غربيون آخرون كان لهم الفضل في توطيد أركان هذا العلم بمؤلفاتهم القيمة في هذا المجال نذكر منهم ستيفان تولمان *Stephan Toulmein* في مؤلفه (استعمالات الدليل أو الحجة)، واللساني تشارلز هاملان *Charles Hamlin* في مصنفه (الأوهام).

وعليه فثمة نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية. أي: مجمل الإستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه. وفي هذا المجال، لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإقناع، وقد اهتم بها كل من "بيرلمان" و "تيتيكا" في كتابهما (الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة). وقد ركز "بيرلمان" كثيرا على مبدئين رئيسيين، وهما: القصد والمقام. ويمكن الاستقادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على "اكتساب خبرة منهجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين.

وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية. بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيماً آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لساناً طبيعياً خطابات حجاجية بدرجات مختلفة³⁹.

والغرض من الحجاج - كما هو معروف - هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة، إذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفاءتية، ويستعمل في حجاجه اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الآخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات. ولا يعتمد الحجاج عند "بيرلمان" على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنياً وهووياً انفعالياً⁴⁰.

هذا، وقد جدد "بيرلمان" و "تيتيكا" آراء أرسطو حينما حاولا أن يعيدا إليها طابعها الفلسفي الحقيقي؛ لأن البلاغة الأرسطية تحصر البلاغة في الإقناع، فتعدها خطاباً حجاجياً بامتياز. وقد استبعدا تصورات أفلاطون والسوفسطائيين لأنها تقوم على الجدل، والسفسطة، والتشكيك، والمنهج المغالطي، والمناورة الواهمة، واعتماد المثل العليا المطلقة. ويعني هذا أن البلاغة في طابعها العام مرتبطة بالمقصدية الحجاجية، وغالبا ما ترتبط الحجاجية بالسلطة والإيديولوجيا والامتيازات الاجتماعية. وأكثر من هذا، فقد ارتبطت البلاغة عند أرسطو بالحجاج والخطاب الإقناعي. وهذا الاقتران أو الترادف نجده أيضاً لدى "بيرلمان" (Perelman) وألبريخت تيتيكا (Olbrechts - Tyteca)⁴¹.

ومن هنا، فالمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية. ويمكن اعتبارها أيضاً بلاغة أرسطية جديدة، مادام "بيرلمان" و "تيتيكا" قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها، ولكن في ضوء رؤية جديدة. هذا، وقد ارتبطت أفكار "بيرلمان" بالقانون والفلسفة والحجاج والبلاغة، وانتشرت أفكاره الحجاجية في السبعينيات من القرن الماضي، وانتشرت في فرنسا في سنوات التسعين. وقد وضع "بيرلمان" لبنات الخطاب الحجاجي نظرية وتطبيقاً، والهدف من نظريته هو محاولة فهم الكيفية التي يتم بها إصدار أحكام القيمة. ومن ثم، فالحجاج ودوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة. كما تتأسس نظريته على قراءة النصوص قراءة بلاغية على أساس الحوار لا على أساس الظن والتخمين والوهم. وقد انتعشت نظريته في الجامعة الحرة ببروكسيل أو في مدرسة بروكسيل مع "لوسي تيتيكا"، وأيضاً مع الفيلسوف "ميشيل مايير" (Michel Meyer) الذي يعرف الحجاج بأنه تفاوض بين شركاء الحوار أو التواصل عن مسافة⁴².

وانطلاقاً مما سبق عرضه فإن النظرية الحجاجية عند هذا الفيلسوف قد اعتمدت على مقارنة آليات الخطاب الاجتماعي العام وذلك برصد «فعالته السياسية والاقتصادية والإعلانية، والتركيز على الجدل القانوني (القضائي) أو الفلسفي على سبيل المثال، ومعالجة الأسئلة التطبيقية، سواء أكان ذلك في القانون أو الفلسفة أو السياسة، وهي أسئلة تتعلق بحياة الإنسان أفعاله. ومن ثم، تحاول البلاغة تقديم برهنة عقلية لحل تلك الأسئلة من خلال تمثل المنهجية الحجاجية الأرسطية في مناقشة الأسئلة التطبيقية التي تطرح مجموعة من الأجوبة التي تستلزم اتخاذ قرار في حقها باختيار أحسن جواب. ولقد أصبحت البلاغة مع

الأرسطيين الجدد أداة إجرائية مهمة في حقل الفلسفة، بعد أن كانت مقصية ومهمشة ومرفوضة في هذا المضمار المعرفي»⁴³.

والمطلع على كتاب (شاييم برلمان) (الوجيز في الحجاج والبلاغة)، يجد أن هذا المفكر الفذ وبلاستعانة بفلاسفة القانون حاول تجديد الخطاب القضائي من خلال رؤية بلاغية حجاجية جديدة، وقد لاحظ أن البلاغة القديمة قد حاولت في كل مرة دراسة مرافعات المحامين حجاجيا، فحاول بالمقابل أن يركز على خطاب القضاة لا المحامين، القضاة الذين يكونون أمام الآراء المتناقضة والمتعارضة من جهة، وأمام مجموعة من الاقتراحات والحلول الممكنة من جهة مقابلة. وقد استنتج أن القضاء هو حل للصراعات الجدلية المتناقضة، ولذلك ربط هذا المفكر القانون أو القضاء أو الخطاب القضائي بالبلاغة الحجاجية. ومن الأفكار التي تصب فيما بيّناه سابقا أنه يحصر البلاغة ووظيفتها في الإقناع وليس التأثير فيقول: «نقصد بالحجاج المؤثر ذلك المتوجه إلى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوب نحو كائن عاقل. فالفرق دقيق، ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسا»⁴⁴.

ومن أهم أفكاره الأخرى أن الصور البلاغية ليست صورا فنية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو سائد في البلاغة القديمة أو التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز. ويتربط على هذا أن الاستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلا. وفي هذا الصدد يقول "بيرلمان": (تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير؛ إذا بدا استعمالها مألوفاً بالنسبة لوضعها الجديد المفترض. أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، فإن الصورة ستصبح محسنا بديعيا، لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب)⁴⁵.

وأكثر من هذا، فقد تصبح الصور البلاغية والمحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو الآخر أو استجلاب موافقته ورضاه. هذا، ويعد الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي: المرسل والرسالة والسامع. ويعد الغير السامع أهم من المتكلم الخطيب؛ لأن الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر ومحاجته برهانيا وعقلانيا عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحل الراجح أو الأمثل، واستكشاف ردود أفعال المخاطب اتجاه الحجاج. فليس المهم - هنا - هو الخطيب أو المرسل كما في البلاغة التقليدية، بل هو المستمع المخاطب؛ " لأن الأهم في الحجاج ليس ما يعتبره الخطيب حقيقيا ومقنعا، وإنما العبرة بالتقويم الصادر عن مخاطبيه"⁴⁶.

ويعرف "بيرلمان" السامع المخاطب بأنه: (المجموع الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه). ويعني هذا أن الغرض من توظيف اللوغوس الحجاجي هو إقناع الغير أو دفعه للتسليم أو الرضى عن الحجة. وفي هذا الإطار يقول "بيرلمان": (نتكلم بقصد دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثيلات مختلفة متعلقة بموضوع معين، لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته)⁴⁷.

وبناء على ماسبق، قد يكون هذا الغير المخاطب فردا أو جماعة، حاضرا أو غائبا، افتراضيا أو محددًا، وقد يكون المتلقي شخصا معينا في الواقع، أو سامعا كونيا مجردا عن الزمان والمكان حسب ثقافة كل عصر وحسب التصورات التي يتبناها الناس عبر التاريخ عن بعض الأحداث.

خاتمة:

مجل القول في تقديرنا أن المنهج التداولي كغيره من المناهج النقدية والتي تهتم بالدرجة الأولى بالقراءة النصية يعتمد هلى طائفة من الآليات الاجرائية في قراءة النصوص، وهذا المنهج اللساني بامتياز يرتكز على آليات إجرائية هي أقرب ما تكون مزجا بين البلاغة التقليدية والبلاغة الجديدة، فأفعال الكلام-وهي أهم مقولات هذا المنهج- تضم الحكميات والتنفيديات والوعديات والسلوكيات والعرضيات والتأكيديات والتوجيهيات والإلزاميات والتعبيريات والتصريحيات، يركز عليها دارس الكلام من وجهة تداولية لاستكشاف أبعاد النص التواصلية.

كما يركز هذا المنهج على قضية الاستلزام الحواري والحجاج وهما آليتان تتعلقان بالتواصل اللغوي أثناء الأداء الفعلي للكلام أي أنهما يتضمنان أفعال الكلام، كما نلاحظ ذلك التداخل بين الآليات الإجرائية لهذا المنهج، كما نلاحظ ذلك التركيز لدى كل هذه المقولات على العملية التواصلية وتحليلها قصد الوصول إلى كل حيثيات التواصل وجزئياته لأداء العملية التواصلية وفهمها بشكل كامل وشامل

الهوامش:

- 1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، يوليو 2005. ص.10-11.
- 2 - voir : *Mikhail Bakhtine, Esthétique de la création Verbale, Gallimard, paris, 1986,p.29.*
- 3- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص.60.
- 4- المرجع نفسه، ص.ص. 60-61.
- 5 - ينظر: المرجع نفسه، ص.61.
- 6 - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص.ص.61-62.
- 7 - المرجع نفسه، ص.61.
- 8- خلف الله بن علي، التداولية مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب، تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، مج.14، ع.01، رجب 1438هـ، نيسان 2017م، ص.223.
- 9 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط.1، آذار/مارس، 2004. ص.155-156.
- 10- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص.156-157.
- 11 - ينظر فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر.صابر حباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، اللاذقية، ط.1، 2007، ص.62.
- 12 - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص.123 .
- 13 - ينظر: المرجع نفسه، ص.123.

- 14- صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التتوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.01، 1993. ص.234.
- 15 - المرجع نفسه، ص.234.
- 16 - صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص.237-238.
- 17- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر.صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، الطبعة الأولى، 2007، ص.63.
- 18 - فيليب بلانشيه، لتداولية من أوستن إلى غوفمان، ص.65.
- 19 - المرجع نفسه، ص.66.
- 20 - علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية و معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط.01، 2010، ص.55.
- 21- علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية و معجم سياقي، ص.56.
- 22-الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر، 1992، ص.34.
- 23- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص.35.
- 24- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، يوليو 2005، ص.32.
- 25 -Catherine Kerbrat-Orecchéoni, *Limplicitè, Armand colin, Paris, 1986,p.39.*
- 26- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص.32.
- 27- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص.32.
- 28 - العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الرباط، المغرب، ط.01، 2011، ص.07.
- 29- عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني(سورة البقرة أنموذجا)، مخطط ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015، ص.60.
- 30- ينظر: آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2003، ص.53.
- 31- ينظر: آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص.53-54.
- 32- امحمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، مخطوط ماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009، ص.02.
- 33- امحمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، ص.02.
- 34- المرجع نفسه، ص.03.

- 35- الأزهرى، تهذيب اللغة، دار الإحياء التراث العربى، بيروت، ط.01، 2001، ج.08، ص.251. (باب الحاء والجيم).
- 36- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.03، 1414هـ، ج.15، ص.228. (باب الحاء).
- 37- عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، جامعة بسكرة، الجزائر، ع.09، 2013، ص.268-269.
- 38- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال وعبد الوهاب التهامي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص.22.
- 39- ناعوس بن يحيى، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، نشر البحث بتاريخ 15-01-2019
حجاج- البلاغة- وبلاغة- الحجاج بن-ي/ <https://jilrc.com/>
- 40- شيماء محمد كاظم الزبيدي، البلاغة والحجاج، البحث تشر على هذا الموقع بتاريخ 2018/11/09
<http://humanities.uobabylon.edu.iq/lecture.aspx?fid=10&lcid=79308>
- 41 - شيماء محمد كاظم الزبيدي، البلاغة والحجاج.
- 42 - جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص.27. أطلع عليه يوم 2017/4/15.
- نظريات-الحجاج-جميل-الحمداوي/نظريات-الحجاج-جميل-
[الحمداوي](https://www.scribd.com/document/201004372) <https://www.scribd.com/document/201004372>
- 43 - جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص.28.
- 44- Chaïm Perelman et Lucie Olberchts Tyteca, *Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique*, Press Universitaire de France, Paris, 1958, P.36.
- 45- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص.29.
- 46- المرجع نفسه، ص.29.
- 47 - المرجع نفسه، ص.30.